بعد أن طالبوا بالتدخل الأجنبي في ليبيا

سفير العراق بالجامعة العربية لـ(المدى): سقطت مبررات العرب ومواقفهم إزاء ما حصل في العراق

بتواضع صنعته غربة أربعة عقود من الزمن، وبحفاوة الإعلامي الخابر جهد العمل الصحفي وأهميته، استقبل (المدى)، سفيرُ العراق الدائم في الجامعة العربية الدكتور قيس العزاوي في مقر الممثلية بالقاهرة، ليؤكد في حوار لصفحتها، أن مطالبة الجامعة العربية لمجلس الأمن بضرورة التدخل من مصلحة الشعب الليبي، ويبين لنا أن أي مبرر أو موقف لدى العرب إزاء التغيير الذي حصل في العراق قد انتهى.

واوضح أن هناك ٢١ دولة عربية وافقت على إزاحة القذافي بتدخل أجنبي، وهذا يعني والكلام للعزاوي، إن العرب وصلوا إلى قناعة بأننا نحتاج أحياناً إلى تدخل خارجي من أجل إزاحة دكتاتور يبطش في شعبه كما حصل في العراق، وبشأن المد الديني المتصاعد في المنطقة العربية مع انحسار دور القوى والأحزاب الديمقراطية أشار العزاوي إلى أن السبب في ذلك هو القوى الكبيرة التي ساندت الحكومات المستبدة وتخلت تماماً عن الأحزاب الديمقراطية، وقال إن النفط وإسرائيل هما السببان الرئيسان في وصول العسكر إلى دفة الحكم وبداية عنصر الاستبداد، فيما يلي الجزء الاول من الحوار.

٢-١

أجرى الحوار: يوسف المحمداوي
تصوير: أحمد سامي

× من هو قيس العزاوي؟

– أنا قيس جواد العزاوي ولدت في محافظة ديالى، قضاء الخالص، أكملت دراستي الابتدائية والمتوسطة فيها، انتقلنا إلى بغداد لأكمل الدراسة الثانوية في إعدادية الأعظمية، وبعد حصولي على شهادة البكلوريا غادرت العراق عام ١٩٦٣ إلى مصر، وفيها حصلت على بكالوريوس في علم النفس والاجتماع من جامعة عين شمس، ثم حضرت للدبلوم العالي لمدة عامين وهي تعادل شهادة ماجستير، فلسفة إسلامية في الحركات الصوفية، بعدها وجدت نفسي مدرساً في ليبيا واستمر عملي فيها لمدة عامين، ثم غادرتها متوجها إلى فرنسا عام ١٩٧٣. في العام ١٩٧٥ سحب جواز سفري العراقي من قبل وزير الداخلية آنذاك عزة الدوري، إثر إصدار بيان لنا ضد اتفاقية الجزائر.

× من الذي أصدر البيان، أنت أم أن هناك جهة تنتمي إليها هي من أصدرت؟

– أنا كنت مع رابطة الطلبة العراقيين، وبالتحديد من أصدر البيان أنا ومعي من أعضاء تلك الرابطة في تلك الفترة اثنان.

× هل تتذكر أسماءهم؟

– بالطبع، لكني لا أجيد لغة التشهير، لأن بعضهم أصبح يعمل مع النظام السابق.

"عملت زبّالاً في باريس"

× ماذا عملت في فرنسا؟

بعد أن سُحب جواز سفري، تمكنت من أن احصل على جواز سفر سوري، ثم قامت الحكومة العراقة بمصادرة أموالي المنقولة وغير المنقولة التي ورثتها بعد وفاة والدي، فأصبحت لا أملك الإمكانية المادية التي تؤهلني لإتمام دراستي، لذا اضطررت أن أعمل زبالا في باريس لغرض إكمال دراستي فأصحو الساعة الخامسة والنصف صباحاً لأن عملي يبدأ من الساعة السادسة صباحاً حتى الساعة التاسعة صباحاً، بعدها أذهب لتكملة يومي الدراسي ثم أعود كعامل نفايات من الساعة السادسة مساءً حتى التاسعة مساءً أيضاً، وحصلت على شهادة الماجستير من جديد، وكان تخصصي في الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث ودرست دكتوراه في الـ (JD)، واستمررت في الدراسة لمدة ثماني سنوات ثم حصلت على مرتبة الشرف الأولى برسالتي في علم الاجتماع العسكري والسياسي، التي نشرت فيما بعد كتاباً صدر في اللغة الفرنسية بعنوان "من الخلافة إلى الإنقلابات العسكرية"، ولدي الآن (١٨) كتاباً تسعة منها بالاشتراك مع آخرين والأخرى من تأليفي.

مكتبة المعارضة العراقية

× ما طبيعة نشاطك المعارض آنذاك؟

– قمت بفتح مكتبة اسمها (الألف باء)، في الحي اللاتيني، وهي مكتبة عربية – فرنسية، أصبحت فيما بعد مكتبة المعارضة العراقية لنظام صدام، ومن هذه المكتبة أصدرت مجلة أكاديمية بعنوان (دراسات شرقية)، وأصبحت لي دار نشر أسمها "أفكار"، ومن هذه الدار صدر العديد من الكتب باللغة الفرنسية للفيلسوف المصري عبد الرحمن بدوي الذي كان من رواد المكتبة، و لدينا معه علاقات طيبة وقوية، بالإضافة إلى علاقتي معه بمجال الاستشراق الذي كان يتخصص به.

"اعتقلت مرتين من قبل المخابرات الفرنسية"

× الجميع يعلم أن السلطات الفرنسية ذات علاقة قوية مع صدام في ذلك الوقت.. كيف سمح لكم العمل كمعارضين؟

– لا أخفيك كنا نعاني الأمرين من المخابرات العراقية وكذلك الفرنسية، وتعرضنا للكثير من المضايقات، أتذكر في يوم واحد داهمت المخابرات الفرنسية منزلي ومنزل الأستاذ عادل عبد المهدي باعتبارنا إرهابيين، والمرة الثانية قاموا باعتقالي وأنا في المكتبة وساقوني إلى سجن فيالق محاربة الجريمة، وما جريمتي سوى معارضة صدام لا أكثر، باعتباري قوميا عربيا معروفا انتمي للحركة الاشتراكية العربية، ولدينا علاقات متينة مع التيارات الثورية المعارضة للدكتاتور، كالإسلامية ممثلة بالأستاذ عادل عبد المهدي أو بالحزب الشيوعي العراقي الذي كان يمثله الأستاذ رائد فهمي، وكنا نعيش ظروفاً صعبة ومعقدة في فرنسا على الرغم من كوني أحمل الجنسية الفرنسية، وصحفيا وأصدر مجلة وعضواً في نقابة الصحفيين الاشتراكيين، وزوجتي فرنسية.

"كواتم الصوت الصدامية"

× لحركتكم العربية الاشتراكية كان نشاط واضح في بيروت، هل كنت حينها في باريس، أم انتقلت إلى بيروت؟

– نعم انتقلت إلى بيروت وقضيت فيها خمس سنوات وكان معي أيضاً الأخ عادل عبد المهدي، وكانت من أصعب المراحل، حيث وقتها صدام تربع على عرش الحكم في عام ١٩٧٩م، فبدأت كواتم الصوت تعمل في بيروت، وكنت حينها متحدثاً رسمياً بأول جهة معارضة عراقية للنظام المباد، وكان في تلك الجبهة، الرئيس جلال طالباني وعبد الإله النصراوي، وأحمد العزاوي، وإبراهيم علاوي والكثير من الأسماء، حيث عملنا أعضاءً في اللجنة التنفيذية وإتمام الديمقراطيين العراقيين، التي أصدرت بيانه الذي طالبت فيه صدام بالتعددية الحزبية والحريات العامة، فكان الرد الصدامي اغتيال ثلاثة من أعضاء تلك اللجنة البالغ عددهم خمسة، حيث تم اغتيال رئيس اللجنة المرحوم عادل وصفي بكواتم الصوت، وكذلك المرحوم يحيى الشيخلي أثناء خروجه من منزلي، وكذلك المرحوم أبو سلام، ثم عدت إلى فرنسا وبعد التغيير الذي حصل في العراق عدت أنا ومجموعة من قيادي المعارضة في السادس والعشرين من نسيان عام ٢٠٠٣ عن طريق القامشلي باتجاه إقليم كردستان ثم إلى بغداد، وقمنا أنا والأستاذ عبد الإله النصراوي بإصدار جريدة "الجريدة" التي تصدر الآن في بغداد.

× السياق المعروف في السياسة العراقية الحالية هو أن يتم اختيار الشخصية لهذا المنصب أو ذاك عن طريق المحاصصة أو ما يسمى بالشراكة الوطنية.. انتم وصلتم إلى هذا المنصب أيضاً عبر هذا الطريق، كيف تجد هذا؟

– في الواقع وجودي في فرنسا منحني فرصة العمل في مجال الإعلام، وكذلك العمل السياسي المباشر، فمثلاً عملت مستشاراً لروبير بينار الذي يترأس منظمة مراسلون بلا حدود، وهذا ما أتاح لي السفر للعديد من بلدان العالم وتكوين علاقات قوية معهم، واخترت في عام ٢٠٠٦ رئيساً للجنة الدولية لحماية الصحفيين العراقيين، وهي منظمة مستقلة ضمت العديد من الصحفيين العالميين.

"أول مؤتمر صحفي لنا في بيت فخري كريم"

× ماذا قدمت هذه المنظمة لحماية الشريحة الإعلامية العراقية التي ذهب الكثير منهم ضحايا لظاهرة الاغتيالات، وهل دعمت عوائل الشهداء مثلاً؟

– لأول مرة في العام ٢٠٠٧، وبالاتفاق مع العديد من المراسلين الأجانب، قمنا بافتتاح أول صرح تذكاري بأسماء شهداء الصحافة العراقية.. وهو صرح من الرخام دونت عليه أسماء الشهداء ويقع في شمال فرنسا، وقمنا كذلك بمساعدة عوائل الشهداء في إقليم كردستان وكذلك في بغداد، وقد تعاونت معنا المدى كثيراً في هذا الجانب، وبالأخص الأستاذ فخري كريم الذي لم يدخر جهداً في دعم الصحافة والصحافيين، وللأمانة أقولها أن أول مؤتمر صحفي أقمناه كان في بيت الأخ فخري كريم، ثم أصبحت مديراً للمركز الدولي لحرية الإعلام الذي أنشئ بالتعاون مع فرنسا وقطر. وهذا المركز الذي يترأسه "روبير مينار" لديه فروع في (١٣٠) دولة ومندوبوه محامون وليسوا صحفيين، فضلاً عن ترؤسي للجنة التضامن لحماية الأساتذة العراقيين التي ضمت أكثر من (٢٠٠) أستاذ، وقدمت مشاريع عديدة للتنمية العلمية، والدعوة لعودة الكفاءات للمشاركة ببناء الوطن فضلاً عن نشاطنا مع منظمة اليونسكو، كل هذه الأشياء ساهمت في أن يطرح اسمي ضمن قائمة السفراء ولكن لا أنكر مساهمة العديد من الأصدقاء في وصولي إلى هذا المنصب علماً أني لم أكن انتمي لأي جهة أو كتلة برلمانية فازت في الانتخابات الأخيرة.

> **- كانت أصعب المراحل، عندما تربع صدام على عرش الحكم في عام ١٩٧٩، فبدأت كواتم الصوت تعمل في بيروت، وكنت حينها متحدثاً رسمياً بأول جهة معارضة عراقية للنظام المباد، وكان في تلك الجبهة، الرئيس جلال طالباني وعبد الإله النصراوي، وأحمد العزاوي، وإبراهيم علاوي والكثير من الأسماء، حيث عملنا أعضاءً في اللجنة التنفيذية وإتمام الديمقراطيين العراقيين، التي أصدرت بيانه الذي طالبت فيه صدام**

> **- أن المأساة التي يمر بها الشعب الليبي تذكرني بحادثتين حصلتا في العراق، الأولى عام ١٩٨٨، عندما قام صدام بقصف شعبنا بالأسلحة الكيماوية في حلبجة (...)، والثانية هي عام ١٩٩١ أثناء الانتفاضة الشعبانية، والتي قام فيها صدام بقتل شعبه بالمدفعية والدبابات والطائرات**

"صالون ثقافي عربي"

× هذا يعني، تريد القول أنك جئت عن طريق الكفاءة وليس المحاصصة؟

– أتمنى ذلك، ولأخفيكم بأني طلبت من السيد وزير الخارجية هذا المنصب بالذات وبإلحاح، أيماناً مني بقدرتي على إعادة العلاقات العراقية العربية.

× في أحد اجتماعاتكم مع شخصيات عربية وعراقية، مثل د. يحيى الحمل و د.هاشم العقباني و د. جابر عصفور. والموسيقار العراقي نصير شمه وغيرهم، وكان الحديث يدور بشأن تأسيس صالون ثقافي عربي يكون مقره الممثلية، ممكن أن تعطينا فكرة عن هذا المشروع، وما الجدوى من إقامته؟

– وصلت للقاهرة في يوم ٢٠١٠/٥/٣ كممثل دائم للعراق في جامعة الدول العربية، وبدأت التحرك في سبيل إعادة العلاقات التاريخية العربية، شاءت الصدف أن يكون مدير مراسيم الأمين العام للجامعة العربية السابق عمرو موسى، وموسى زميل لي أيام الدراسة في جامعة عين شمس وهذه العلاقة سهلت لي الكثير من الأمور، وفي أول لقاء مع السيد عمرو موسى أعلن من خلال وسائل الإعلام أن وجود قيس العزاوي كممثل دائم للعراق في الجامعة سيكون له علامة فارقة بإعادة العلاقات بين الدول العربية والعراق، وحرصت أن أقدم أفضل صورة ممكنة لبلدي حضارياً وثقافياً، لأني وجدت من غير الممكن أن يسمعوا عن السيادة المفخخة والعمليات الإرهابية ولا يسمعونا ثقافياً وحضارياً، وبالفعل مع أول احتفالية للممثلية أحياها الموسيقار نصير شمه، حضرها نائب الأمين العامة للجامعة بن حلي وجميع سفراء الدول العربية، والذين لم يدخلوها في السابق.

"سفارة الاحتلال"

× لماذا لم يدخلوها؟

– عمرو موسى قال لي: كيف عملت هذا؟ الجميع كان يصفها بأنها سفارة احتلال وكيف يدخلونها الآن؟ والجميع الآن يأتي إلى السفارة ويحضر نشاطاتها على المستويات كافة، وهذا ما جعل الطبقة المثقفة المصرية والعربية على التصاق دائم مع الممثلية، لذلك اقترح عليّ الدكتور جابر عصفور وزير الثقافة المصري السابق ورئيس المجلس الأعلى الثقافي المصري لسنوات طويلة، فكرة تأسيس صالون ثقافية عربي وأيدته في ذلك، ثم جاء الدكتور يحيى الجمل نائب وزير الخارجية المصري السابق ليشاركنا الاجتماعات، وكنت أنت حاضراً كممثل لـ(المدى) في تلك الاجتماعات، وهذا المشروع هو لتنمية الثقافة العربية الداعم للعمل العربي المشترك، وإطلاع العرب على حضارات وثقافات شعوبهم وليس الاقتصار فقط على الشأنين السياسي والاقتصادي، إيمانا منا بأن العراق لابد أن يعود ويتبوأ المكانة التي يستحقها.

× ألا ترون هناك تناقضاً بين طلب العرب بتشكيل صالون ثقافة عربي، وبين استمرارية تعليق عضوية اتحاد أدباء وكتاب العراق في الاتحاد العربي تحت ذريعة الاحتلال، في حين أن فلسطين وأغلب الدول العربية محتلة منذ عقود؟ (ملاحظة: الحوار جرى قبل أن يقرر اتحاد أدباء العرب إلغاء قرارهم بتعليق عضوية العراق)

– أقولها بصراحة أن ما حدث للعراق وعلاقته مع العرب بعد عام ٢٠٠٣ هو أمر مؤسف جدا، وأنا تكلمت مع رئيس اتحاد أدباء العرب الأستاذ محمد السلماوي، واتفقنا سوياً على تنظيم ندوة تجمع ما بين اتحاد أدباء العراق واتحاد أدباء العرب، واتصلت بالأستاذ فاضل ثامر وتكلمت معه بهذا الصدد، وبالفعل بعث لي الرجل صورة من جواز سفره لغرض الحصول على تأشيرة الدخول، حتى يكون مجيئه مقدمة لعودة العراق إلى اتحاد أدباء كتاب العراق، لكن أحداث الثورة في مصر للأسف حالت دون تحقيق ذلك ،المهم الأمر ما يزال قائما والسلماوي سيكون ضمن الصالون العربي، وأعتقد أن عودة العراق لاتحاده العربي سيتحقق في الأيام القريبة المقبلة.

× هناك بعض المواقف العربية لم تصب في صالح الشعب العراقي ما السبب؟

– حقيقة كان هناك جو عدائي عربي ضد العراق بعد أحداث عام ٢٠٠٣ ونحن نعلم لماذا، وأنا دعوت (٤٨) اتحادا عربيا ممثلين بالأمناء للممثلية بعد جهد استمر لمدة ستة أشهر، وعقنا عدة اجتماعات وبعثنا تقريرا مفصلا إلى وزارة الخارجية، وبعضهم كان يريد العودة للعراق ولكن للأمانة أقولها وأكررها، كان هناك جو عدائي ضد العراق.

× لماذا؟

– أنا لا أريد أن ادخل في تفاصيل ذات طابع طائفي أو عرقي أو إثني.

"الآن تغيرت قناعات العرب"

× سعادة السفير، الجميع يعرف أن قوات التحالف لم تدخل العراق لا من تركيا ولا من إيران، بل من المياه والأجواء والأراضي العربية، فالعرب ساهموا في التغيير ما الذي حصل ليتغير موقفهم؟

– هناك أسباب عديدة أعرفها أنا وأنت وغيري، والحديث عنها لا يضيف شيئاً في الوقت الحاضر، المهم الآن العرب وصلوا إلى قناعات جديدة، مثلاً في ٢٢ شباط من هذا العام كنت أنا أترأس مجلس سفراء الجامعة العربية ضمن الدور ١٣٤، وطرح موضوع ليبيا ومسألة قتل القذافي شعبه، الأمين العام أرسل لي بن حلي لنتداول في الأمر قبل اجتماع السفراء وبعد أن تم الاجتماع كنت أول المتحدثين، وقلت: لنقف دقيقة واحدة على أرواح الشهداء في ليبيا، ومصر وتونس، وأخبرتهم بأن الشعب الليبي يستصرخ العرب لإنقاذه من بطش القذافي المجنون.

"انتهت مبررات العرب إزاء موقفهم مع العراق"

× ألم تذكرهم بموقف الجامعة العربية إزاء ما فعله صدام ضد العراقيين واتخاذهم موقف الصمت؟

– بالطبع قلت لهم أن المأساة التي يمر بها الشعب الليبي تذكرني بحادثتين حصلتا في العراق، الأولى عام ١٩٨٨، عندما قام صدام بقصف شعبنا بالأسلحة الكيماوية في حلبجة، وحينها جئنا ومجموعة من المثقفين العرب إلى تونس حيث كان مقر الجامعة العربية هناك والتقينا بأمينها الشاذلي القليبي، وقلنا له يجب أن تستنكر الجامعة هذه الجريمة على الأقل، فرد علينا قائلاً كان بالإمكان أن نستنكرها لو ضرب صدام دولة أخرى، ولكنه قام بضرب شعبه وهذا شأن داخلي لا نتدخل فيه، والحادثة الثانية هي في العام ١٩٩١ أثناء الانتفاضة الشعبانية، والتي قام فيها صدام بقتل شعبه بالمدفعية والدبابات والطائرات، وأيضاً رفض العرب أن يدينوا ما فعل صدام، فقلت لهم ما زال العراقيون يشعرون بحزن عميق لأنكم تخليتم عنهم، وأنا لا أريد أن يشعر الليبيون غداً بالحزن نفسه الذي عشناه في العراق، وطلبت منهم تعليق عضوية ليبيا في الجامعة، ولكن الاجتماع خرج برفض مشاركة الوفود الليبية في اجتماعات الجامعة حتى يتوقف القذافي عن جرائمه، وهذا الأمر حدث قبل قرار التعليق، وبعد أن طلبت الجامعة العربية من مجلس الأمن أن يتدخل من أجل مصلحة الشعب الليبي، أي مبرر أو موقف لدى العرب إزاء التغيير الذي حصل في العراق قد انتهى، فواحد وعشرون دولة عربية وافقت على إزاحة دكتاتور مثل القذافي بتدخل أجنبي، يعني أن العرب وصلوا إلى قناعة بأنه أحيانا تحتاج إلى تدخل خارجي من أجل إزاحة دكتاتور يبطش في شعبه، وما حصل في العراق لا يختلف عمّا يحصل في ليبيا وبمباركة وموافقة عربية، إذن انتهت مبررات أي موقف عربي ضد العراق.

"المسرح مدرسة كبيرة"

× أهم هواياتك؟

– القراءة أولاً وأخيراً، ولكن أختلف المزاج ففي السابق، كنت أقرأ بنهم ومتعة كبيرة، أما الآن فقراءتنا وظيفية، وكأننا نقرأ من أجل الوظيفة وهذه ليست فيها متعة، وأحياناً يهديك صديق كتاب له لا يتلاءم مع الذائقة، ولكنك مجبر على قراءته حباءً من الصديق.

× آخر كتاب قرأته؟

– كتاب مهم جداً للدكتور يحيى الجمل بعنوان (قصة حياة عادية)، والكتاب ممتع ويذكر فيه مرحلة مهمة من تأريخ مصر.

× علاقتك بالموسيقى، المسرح، الفنون الإبداعية الأخرى؟

– كنت في السابق استمع للموسيقى الكلاسيكية الفرنسية، وكذلك المقام العراقي وأغاني سليمة مراد وعفيفة اسكندر وزهور حسين، يعني الأغاني القديمة، وبالنسبة للشعر قرأت لأغلب شعرائنا أما بالنسبة للمسرح، فانا عام ١٩٦٥ كتبت مسرحية شعرية ومثلتها أنا على خشبة المسرح في مصر، لذلك تجدني أهتم بالمسرح فهو مدرسة كبيرة.

> **في أول لقاء مع عمرو موسى أعلن من خلال وسائل الإعلام أن وجود قيس العزاوي كممثل دائم للعراق في الجامعة سيكون علامة فارقة بإعادة العلاقات بين الدول العربية والعراق، وحرصت أن أقدم أفضل صورة ممكنة لبلدي حضارياً وثقافياً**